الشرك شركا فهو مشرك في نفسه قبل النهي وبعده فمن قال ان الفاحشة والقبايح
والاثم انما صارت كذلك بعد النهي فهو بمنزلة قايل يقول الشرك انما صار شركا
بعد النهي وليس شركا قبل ذلك ومعلوم ان هذا وهذا مكابرة صريحة للعقل والفطرة
فالظلم ظلم في نفسه قبل النهي وبعده وكذلك الفاحشة والشرك لا ان هذه الحقايق
صارت بالشرع كذلك نعم الشارع كساها بنهيه عنها قبحا الى قبحها فكان قبحها من
ذاتها وازدادت قبحا من ذاتها وازدادت قبحا عند العقل بنهي الرب تع عنها وذمه
لها واخباره ببغضها وبغض فاعلها كما ان العدل والصدق والتوحيد ومقابلة
نعم المنعم بالثناء والشكر حسن في نفسه وازداد حسنا الى حسنه بامر الرب به وثنايه
على فاعله واخباره بارادة ذلك ومحبة فاعليه بل من اعلام نبوة محمد صلعم انه يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث فلو كان
كونه معروفا ومنكرا وطيبا وخبيثا انما هو لتعلق الامر والنهي والحل والتحريم به لكان
بمنزلة ان يقال يامرهم بما يامرهم به وينهاهم عما ينهاهم عنه ويحل لهم ما يحله
ويحرم عليهم ما يحرمه واي فايدة في هذا واي علم يبقى فيه للنبوة وكلام الله يصان
عن ذلك وان يظن به مثله وانما المدح والثناء والعلم الدال على نبوته ان ما يامر
به تشهد العقول الصحيحة حسنه وكونه معروفا وما ينهى عنه تشهد قبحه وكونه منكرا
وما يحله تشهد كونه طيبا وما يحرمه تشهد كونه خبيثا وهذه دعوة الرسل وهي
بخلاف دعوة المبطلين والكاذبين والسحرة فانهم يدعون الى ما يوافق اهواهم
واغراضهم من كل قبيح ومنكر وبغي وظلم ولهذا قيل لبعض الاعراب وقد اسلم
لما عرف دعوته صلعم عن اي شيء اسلمت وما رايت منه مما دلك على انه رسول الله
فقال ما امر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته امر به
ولا احل شيا فقال العقل ليته حرمه ولا حرم شيا فقال العقل ليته اباحه
فانظر الى هذا الاعرابي وصحة عقله وفطرته وقوة ايمانه واستدلاله على صحة دعوة
النبي صلعم بمطابقة امره لكل ما هو حسن في العقل ومطابقة نهيه لما هو قبيح في العقل
وكذلك مطابقة تحليله وتحريمه ولو كان جهة الحسن والقبح والطيب والخبيث
مجرد تعلق الامر والنهي والاباحة والتحريم لم يحسن منه هذا الجواب ولكان بمنزلة
من يقول وجدته يامر وينهى ويبيح ويحرم واي دليل في هذا وكذلك قوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
وهولاء يزعمون ان الظلم في حق عباده هو المحرم المنهي عنه لا ان في نفس الامر ظلما
ظلما نهى عنه وكذلك الظلم الذي نزه الله تع نفسه عنه هو الممتنع المستحيل عندهم
لا ان هناك امر ممكن مقدور لو فعله لكان ظلما فليس عندهم ظلم منهي عنه
ولا منزه عنه انما هو المحرم في حقهم والمستحيل في حقه تع فالظلم المنزه عنه عندهم منحصر

في المحا

في المحالات العقلية كالجمع بين النقيضين وجعل الجسم الواحد في مكانين في آن
واحد ونحو ذلك والقران صريح في ابطال هذا المبحث ايضا قال تع قال قرينه ربنا الذ
ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد اي لا يواخذ عبدا بغير ذنب ولا امنعه من
اجر ما عمله من صالح ولهذا قال قبله وقد قدمت اليكم بالوعيد المتضمن لاقامة الحجة
وبلوغ الامر والنهي فاذا واخذتكم بعد التقدم فلست بظالم بخلاف من يواخذ
العبد قبل التقدم اليه بامره ونهيه فذلك الظلم الذي تنزه عنه سبحانه وقال تع
ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما يعني لا يحمل عليه من
سيات ما لم يعمله ولا ينقص من حسنات ما عمل ولو كان الظلم هو المستحيل الذي لا يمكن
وجوده لم يكن لعدم الخوف منه معنى ولما للامن منه وقوعه فايدة وقال تع من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اي لا يحمل المسيء عقاب
ما لم يعمله ولا يمنع المحسن من ثواب عمله وقال تع وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون فدل على انه لو اهلكهم مع اصلاحهم لكان ظلما وعندهم يجوز ذلك
وليس بظلم لو فعله ويولون الاية على انه سبحانه اخبر انه لا يهلكهم مع اصلاحهم
وعلم انه لا يفعل ذلك وخلاف خبره ومعلومه مستحيل وذلك حقيقة الظلم ومعلوم
ان الاية لم يقصد بها هذا قطعا ولا اريد بها ولا يحتمله بوجه اذ يوول مضاها الى انه
ما كان ليهلك القرى بسبب اجتماع النقيضين وهم مصلحون وكلامه تع يتنزه
عن هذا ويتعالى عنه وكذلك عند هولاء ايضا العبث والسدى والباطل كلها من
المستحيلات الممتنعة التي لا يدخل تحت المقدور والله تع قد نزه نفسه عنها او نسبه
اليها اعداءه المكذبين لوعده ووعيده المنكرين لامره ونهيه فاخبر ان ذلك يستلزم
كون الخلق عبثا وباطلا وحكمته وعزته يابى ذلك قال تع افحسبتم انما خلقناكم
عبثا اي لغير شيء لا تومرون ولا تنهون ولا تثابون ولا تعاقبون والعبث
قبيح فدل على ان قبح هذا مستقر في الفطر والعقول ولذلك انكر عليهم انكار
منبه لهم على الرجوع الى عقولهم وانهم لو فكروا وابصروا لعلموا انه لا يليق به ولا يحسن
منه ان يخلق عبثا لا امر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب وهذا يدل على
ان حسن الامر والنهي والجزاء مستقر في العقول والفطر وان من جوز على الله
الاخلال به فقد نسبه الى ما لا يليق به ويا باه اسماوه الحسنى وصفاته العليا وكذلك
قوله تع ايحسب الانسان ان يترك سدى اي لا يومر ولا ينهى او لا يثاب
ولا يعاقب وهما متلازمان فانكر على من يحسب ذلك فدل على انه قبيح لا يليق
به ولهذا استدل على انه لا يتركه سدى بقوله الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى الى آخر السورة ولو كان قبحه انما علم بالسمع لكان يستدل عليه

Copyright © King Saud University